-راجع . ستانلي هايمن: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة. إحسان عباس ، محمد يوسف نجم، دار الثقافة بيروت 1981.ص259.

(71) ساسين عساف: ابلصورة الشعرية ونماذجها...))،ص60.

(72) أندريه بريتون: بيانات سريالية،ص50.

(73) ساسين عساف: الصورة الشعرية ونماذجها...))ص63.

(74) عبد الله حمادي: مدجل إلى الشعر الاسباني المعاصر،ص112.

(75) نقلا عن ساسين عساف: الاصورة الشعرية ونماذجها...))ص62.

(76) عبد الله حمادي: مدخل إلى الشعر الاسباني المعاصر،ص122.

(77) المرجع نفسه: ص123.

(78) دولف رايسر: بين العلم والفن،ص83.

(79) عبد الله حمادي: مدخل إلى الشعر الاسباني المعاصر،ص123.

(80) عبد الله حمادي: مدخل ؟إلى الشعر الاسباني المعاصر،ص123.

(81) المرجع نفسه: ص123.

(82) المرجع نفسه: ص122.

(83) المرجع نفسه: ص122.

(84) ر.م. ألبيريس: الاتجاهات الأدبية...))ص167.

(85) عبد الله حمادي: تحزب العشق ياليلى،ص40.

الزمخشري من خلال كتاب "أساس البلاغة"

الأستاذ : بلقاسم حمام
جامعة ورقلة–الجزائر

لقد شغف العرب بلغتهم شغفا عظيما ملك عليهم الظاهر و الباطن خرجوا ينفقون من أجلها الجهد و المال والراحة حتى يسموا بها في مراتب الكمال و أنيري علماء الأمة يخدمون هذه الهبة كل من جهته وتخصصه ، إن كان فيلسوفا فمن خلال الفلسفة ،و إن كان أديبا (شاعرا أو ناثرا) فمن خلال إبداعه و إن كان لغويا فمن خلال جمعه و تمحيصه.

و لقد كان من علماء الأمة الإسلامية من حباه الله تعالى من كل ذلك بنصيب فراح يعمل هذه العلوم مجتمعه في خدمة اللغة العربية ، و هنا النوع قليل و منهم الزمخشري ، و يظهر ذلك في معظم كتبه و خاصة أساس البلاغة بعد الكشاف .

و سأحاول تتبع شخصية هذا الرجل من خلال معجمه (أساس البلاغة) لأبين مؤهلاتها و قدراتها الفذة ، و بما أن الكتاب المعتمد جاء على هيأة معجم أفضل أن أقدم تعريفا للمعجم و بيان وظيفته .

تعريف المعجم 1 :

« المعجم كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها و تفسير معانيها ، على أن تكون مرتبة ترتيبا خاصا ، إما على الهجاء أو الموضوع ، و المعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة

بشرح معناها و اشتقاقها ، و طريقة نطقها و شـــواهد تبـــين مواضـــع استعمالها « (2)

و يهتم المعجم اللغوي بتفسير معنى كلمات اللغـــة ، ففيـــه عنصـــران أساسيان :

أولهما الكلمة و ثانيهما المعنى (3) وقد جاءت المعاجم العربية شأن المؤلفات الأخرى- لتحفظ اللغة العربية من الدخيل واللحن خاصة بعدما فتحت الدنيا على العرب و عليه فـــ« العامل الملح جدا في ذلك هو الحفاظ على اللغة العربية لئلا تتلاشى في تيارات اللحن و يصيبها الفساد و هي لغة القرآن الذي يضم مبادئ الإسلام «(4) وهذا الهدف مشـــترك بـــين جميع المعاجم العربية و لكن هناك أهدافا أخرى يرمي إليها كل عالم من خـــلال معجمه ، فهدف صاحب العين ليس هو نفس هدف صاحب الصحـــاح و من ثم يبدو أن المعجم كتاب كسائر الكتب ، فيه تظهر شخصية مؤلفـــه بكل جوانبها : إذ هو يقتضي الانتقاء سواء المـــادة اللغويـــة أو الشـــواهد المستعان بها و هذا الانتقاء يبين بشكل جيد ذوق واطـــلاع المؤلـــف ، لم يخضع لمنهج تعرض و فقه المادة اللغوية ، و ذلك يصور قـــدرة صاحبـــه في ذلك المنهج و المعرفة الجيدة بالمناهج السابقة أو المعاصرة ، ثم من جهة ثالثـــة نلحظ أن ما من عالم يقدم على تأليف معجم إلا و يحاول أن يأتي بـــالجديد حتى لا يكون معيدا لما قيل ، و هذا التجديد قد يكون على مستوى المـــادة أو على مستوى الدلالات ، أو على مستوى المنهج . و قد يكون يجمع بينها كما فعل الزمخشري في أساسه ، و عليه ارتأيت أن أتتبع شخصيته من خلال

مؤلفه لأنه تجدد من خلال التأليف المعجمي ، و ذلك ما فتق مواهبه و جلى قريحته .

الزمخشري من خلال كتابـــه :

أ- الزمخشري العالم البصير :

إن وضع معجم في أي لغة عمل صعب و مضن ، و يقضـــي مـــن صاحبه جمعا و إلماما تاما بمفردات اللغة و استعمالاتها ، ثم لا يكتفي بذلـــك بل يكون بصيرا بالدلالات المختلفة لاستعمالات الكلمة وكذلـــك كـــان الزمخشري إذ هو العالم الفذ الذي تتبع اللغة العربية مفردة مفـــردة دون أن يكترث بالصعاب و الحوائل ، و لا عجب في ذلك لأنـــه » كـــان -وهـــو فارسي الأصل – مغرما باللغة العربية يفضلها على سائر اللغات و مؤثـــرا للعرب يرفعهم إلى أسمى الدرجات ، لأنه ربط ربطا وثيقـــا بـــين العروبـــة والإسلام» (5)

فجمع اللغة في صدره كما هائلا ، ثم راح يتخير ما يـــراه قمينـــا بالاصطفاء و الاستعمال فأخرجه في معجم صغير الحجـــم إذا مـــا قيـــس بغيره ، إذ هو يضم ثلاثة آلاف و سبعمائة وواحد و ثلاثين (3731) مـــادة فقط بينما يضم **الصحاح** مثلا : اثنين و ثلاثين و ستمائة فصـــل (632) و **لسان العرب** يضم ثمانين ألف مادة .

هذا ما يوحيه كتاب معجم أساس البلاغة للمطلع عليه ، كما أننـــا نلحظ سعة علمه و اطلاعه من خلال الكتب التي ذكرها في أساسه و الـــتي كانت من مصادر مادته و فهمه للغة و قد ذكر لنا :**كتاب الجاحظ** حيـــث جاء في مادة (ح ج ر) قال :

إذ خرس الفحل و سط الحجورة وصاح الكلاب و عق الولد

قال الجاحظ : معناه أن الفحل الحصان . إذا عاين الجيش و بوارق السيوف لم يلتفت لفت الحجور» (6) . و ذكر في مادة (ر م ل) كتاب العين **للخليل**: » ... و أرمل افتقر و فني زاده ، و هو من الرمل كأدقع من الدقعاء و منه الأرملة ، و الأرمل و في **كتاب العين** : لا يقال شيخ أرمل إلا أن يشاء شاعر في تمليح كلامه كقول جرير :

هذى الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

و جاء في مادة (زرف) ذكر كتاب سيبويه : »... و في كتاب **سيبويه** : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها و هي مسماة باسم الجماعة لأنها في صورة جماعة من الحيوان « (8)

و جاء **كتاب المبرد** في مادة (هـ ر ر) : » و أنشد المبرد:

حلفت لهم و الخيل تردى بنا معا نفارقهم حتى يهروا العواليا

عوالى زرقا من رماح رديئة هرير الكلاب يتقين الأماعيا

و هذا يدل على وجه المجاز دلالة مكشوفة « (9).

كما ذكر **كتاب الأزهري** في قوله : " و أخذ الكزاز من البرد ، و هو تقبض ورعدة و قيل داء يرعد صاحبه حتى يموت ، و في **كتاب** الأزهري هو بالتشديد « (10).

الزمخشري الرحالة :

إن تحصيل العلم ليس أمرا هينا ، و التمكن فيه ليس يتأتى لكل طالب ونخص هنا اللغة العربية الشاسعة الواسعة ، الزمخشري أمضى حياته كلها جوابا أقطار البلاد الإسلامية حيث رحل من مسقط رأسه زمخشر

نحو : بخارى و خراسان ، و اصفهان عاصمة السلاجقة و بغداد ، و مكة ، والشام ، ولقد لخص لنا ذلك في أساس البلاغة حين قال : » ... وطئت كل تربة في أرض العرب ، فوجدت تربة أطيب الترب « (11).

و عليه لقب نفسه بجار الله ، و يدل على كثرة ترحاله في الأساس رواياته المختلفة عن سماعه و مشافهته لمعاصريه، يقول مثلا في مادة(ر خ د)

«... وحضرنا منضخة عرفة بالطائف فأردنا أن نأخذ شيئا من قضبها، فقال عرفة: خذوا من رخده . أراد من ناعمه « (12) و في مادة (ح ل م)

« ... ولأهل المدينة ثياب غلاظ مخططة تسمى أحلام نائم « (13). و في مادة (م و هـ) : » و سمعت بالبادية كوفيا يقول الأعرابي : كيف ماوان ؟ قال ميهة ... « (14) .

الزمخشري الأديب الذواق :

نجد الزمخشري في تفسيره للكلمات لا يقف عند التركيب العادية بل يتعداها إلى انتقاء ما بلغ و حسن في أذواق الأدباء و المبدعين ، فيصطفي درر كلامهم ، و يتخير منه كما يتخير من التمر أطيبه ، و نراه جعل ذلك من خصائص معجمه » و من خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين و انطوى تحت استعمالات المفلقين « (15) و من أمثله ذلك من الأساس : » و من المجاز : نزلنا بني فلان فأجد بناهم . إذ لم يجدوا عندهم قرى و إن كانوا مخصبين ، وعن الحسن : أجدب قلوب ، وأخصب ألسنة. ورحل فلان جديب ، و في نوابغ الكلم : من كان آدب كان رحله أجدب « (16) » ورقن الكتاب كتبه كتابة حسنة ... و في نوابغ الكلم : العلم درس و تلقين لا طرس و ترقين « (17).

و لعل ذلك ما جعله يميز مؤلفه عن المعاجم السابقة حتى في العنوان فجاء به (أساسا للبلاغة) . و لأنه لا يريد جمع شتات اللغة ، المعروف منها و المهجور ، رغم أن ذلك بمقدوره ، و إنما أراد أن يضع بين يدي المتعلم جوانب اللغة المستعملة (**لغة التواصل** Communication).

و لكن هذه اللغة المستعملة ليست مبتذلة أو شاحبة بل هي أعلى مدارج البلاغة ، و عليه جاء بألفاظ معجمه في سياقات مختلفة معتمدا على ما يسميه المحدثون في تعليمية اللغة **بالنموذج** . و هي أحسن طريقة في تلقين اللغة هذا من جهة ، و من أخرى يشير ذلك إلى تأثر الزمخشري بنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني فهو مظهر من مظاهر تطبيق الزمخشري لنظرية النظم التي أصبحت من المسلمات عنده »حتى تمثلها تمثلا منقطع النظير«(18)

و يوحي لنا عنوان الكتاب خصائص الزمخشري الذوقية ، إذ هو يبحث عن كل بليغ مليح يكون وقعه على الأذان حسنا ، و صدوره على اللسان سهلا ذليلا ، دون أن يضيق على نفسيه بإطاري الزمان و المكان اللذين التزمهما العلماء قبله فنجده يستشهد بشعر المتنبي مثلا في مادة (س ع ط) ، و بعض معاصريه كما في المواد : (ر ،خ، د) ، (ب ث ث) (ح و ط) ،(هـ ر ت) ، (م و هـ) ، معتمدا في ذلك على حسه الرهف ، و نحن نعلم أنه » كان مع إمامته في اللغة و الأدب شديد الإحساس بالجمال البياني ، ذواقة لأساليب العربية متمكنا في فهم خصائص البلاغة ، و أصولها ، كان مكتمل الذوق الأدبي « (19).

و العنوان في حد ذاته هو جيز بليغ ، و العنوان عموما » و ظيفته تبين حقيقة محتوى الكتاب « (20) و عليه يكون الزمخشري قد اختار جمهورا

معينا ، جمهور يبحث عن رفع المستوى استعماله للغة من درجة العادي إلى درجة البليغ ، و حينما نقرأ عنوان (أساس البلاغة) يثير فينا شغفا لمعرفته . هذا الأساس الذي إذا ما حصلناه ذلت لنا الصعوبات ، كما يثير فينا تساؤلا كبيرا و هو : ماهو الأساس الذي تنبني عليه البلاغة ؟ و ما طبيعة و ما شكله و ما حجمه ، و هذه هي ميزات العنوان الناجح (21).

و عنوان أساس البلاغة ، » رسالة يتبادلها المرسل و المرسل إليه – الزمخشري و القارىء هنا – يساهمان في التواصل المعرفي و الجمالي ، و هذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية « (22) ، و الكاتب مدرك أن اللغة – و البلاغة من مستوياتها – ، لا يمكن جمعها في مؤلف واحد و من ثم وضع (أساس) يبني بعده المحصل له بناء خاصا و لكنه متين ، اعتمادا على قدرة التوليد و التحويل عنده ، كما جاء ذلك عن مدرسة شومسكي . و من زاوية أخرى يكون الزمخشري قد اقتنع بما اقتنع به المحدثون فيما يخص المعجمية . إذ هدفها ليس الاعتناء بالكلمة المفردة بقدر ما هو اعتناء بسياقاتها ومحاضنها و تقلباتها في الاستعمال الفعلي (23) و عليه يكون أساس البلاغة معجما أدبيا بلاغيا قبل أن يكون معجما لغويا مفرداتيا ، ، و هنا يجب أن نذكر : » أن المعجم لا يقاس بحجمه و كثرة عدد كلماته بل بالوظيفة التي يؤديها « (24).

اعتزاله و مذهبه :

كما أشرت من قبل أن المعجم كتاب كسائر الكتب تؤدي فيه الذاتية دورا كبيرا ، و نخص بهذه الميزة أساس البلاغة . وقد وجدت فيه بعد تتبعي لمواده ما يثير ملامح توجه الزمخشري الديني الفقهي ، و أبدأ بظاهرة اعتناء الزمخشري بالمعنى المجازي إذ من بين ثلاثة آلاف و سبعمئة وواحد

و ثلاثين (3731) مادة ، ذكر المجاز في ألفين و مئة و عشر (2110) مـــادة و من ثم فمساحته عظيمة ، هذا بغض النظر عن المواد التي يذكر فيها المجـــاز و لا يصرح به كما في مادة (ر ن ب) ، و اهتمامه بذلك يعود إلى انتمائـــه إلى المعتزلة ، و الذين ، و الذين توسعوا في المجاز بعكس أهل السنة الذيـــن توقفوا عند الظاهر (25).

كما أشار في مادة (ب ر د) إلى المنزلة بين المترلتـــــين و هـــي من(أصول المعتزلة) فقال :« و أبـــردت إليـــه بريـــدا و هـــو الرســـول المستعجـــل.و أعوذ بالله من قعقعة البريد و سارت بينهم البرد و هذا بريـــد منـــصب و هو ما بين المترلتين « ، و اعتزاله معلوم (26) .

كما يبدو لنا ميلة لآل البيت من خلال روايته عن كرم الله و جهـــه و ابنائه . ففي المادة (ن ط ق) مثلا يقول : » ... و في حديث علي رضـــي الله عنه :» من يطل أير أبيه ينطق به « .

و ذكر أيضا في المـواد : ث ص ب ، ر ط م ، ح ج ز ، ص ق ب ، و يصرح في مادة (م ض ر) : (علي مع الحال المضيرة خير من معاوية مـــع المغيرة) كما أورد حديث » مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبـــها نجا، و من تخلف عنهما غرق وزخ في النار « .

و المذهب الفقي الزمخشري هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله (27) ، و عليـــه نجده يذكر أبا حنيفة في مادة (ذ هـــ ب) » ... و من المجاز :... و فـــلان يذهب إلى قول أبي حنيفة أي يأخذ به « .

هذه بعض الإشارات ارتأيتها لتكون علامات لشـــخصية عظيمـــة متعددة المواهب ، من خلال مؤلف متميز ، جاء من حيث الشكل معجمـــا

لغويا ومن حيث الطريقة و المادة كتابا نموذجيا للبلاغة العربية ، و من حيث هو ممثلا لصاحبه في كل الجوانب التي أشرت إليها سابقا .

الهـــوامـــش

1- أنظر مادة (ع ج م) أساس البلاغة ص:294،و القاموس المحيط ج04،ص: 149.

2- مقدمة الصحاح : أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة 1984 ، ص: 38.

3- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات عام اللغة الحديث . د.أحمد أبـــو الفـــرج دار النهضة الطبعة الأولى 1966 ، ص: 06.

4- مناهج البحث و اللغة و المعاجم عبد الغفار جامد هلال ، ص: 10.

5- الزمخشري د.أحمد الحوفي ، دار الفكر الطبعة الأولى 1966 ، ص: 298.

6- أساس البلاغة الزمخشري جار الله أبو القاسم محمد بن عمر، تحقيق الأستاذ عبـــد الرحمن محمد عرف به و أمين الخولي ، دار المعرفة ،بيروت،دط.دت.ص: 74

7- أساس البلاغة مادة ر م ل ، ص: 179.

8- المصدر السابق مادة ز ر ف ، ص: 191.

9- المصدر السابق مادة هـــ ر ر ، ص: 482 .

10- المصدر السابق مادة ك ز ز ، ص: 391.

11- المصدر السابق مادة ت ر ب ، ص: 38.

12- المصدر السابق مادة ر خ د ، ص: 158.

13- المصدر السابق مادة ح ل م ، ص: 93.

14- المصدر السابق مادة م و هـــ ، ص: 440

15- المصدر السابق مقدمة الزمخشري .

16- المصدر السابق مادة ج د ب ، ص: 52.

17-المصدر السابق مادة ر ق ن ، ص: 175.

18-البلاغة تطور و تاريخ د. شوقي ضيف، دار المعارف ، ط6 ، ص: 220.

19-الزمخشري لغويا و مفسرا : مرتضى آية الله الشيرازية ، دار الثقافة القاهرة ، 1977 ، ص 238.

20 Une unité discursive restreinte : le titre caractérisation et apprentissage : par GERARD Vigner (Français dans le monde) Octobre 1980 /p30

21 Le titre devra donc être une source d'interrogation dont le texte ou l'œuvre Constituera la réponse le français dans le monde p 30.

23-السيميوطيقا و العنونة : د.جميل حمداني مجلة عالم الفكر المجلد الخامس العشرون العدد الثالث يناير / مارس 1997 ص 100.

24 Dictionnaire de linguistique par jean dubois , Mathée Glacoma louis guespin , christiane marcellesi , jean. Baptiste. Marcellesi, jean-Pierre mével, librairie larousse 1989 p294.

25-من قضايا المعجم العربي قديما : د. محمد رشاد الحمـــزاوي ، دار العلوم الإسلامي . الطبعة الأولى 1996 ، ص : 170.

26-انظر : المجاز و أثره في الدرس اللغوي . د.محمد بدوي عبـــد الجليل ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د ط ، 1980، ص : 47

27-انظر في ذلك : تفسيره للآيات الأتية في الكشاف :

في التوحيد : 143 الأعراف. 14 يونـــس .180 الأعـــراف.05 طـــه .01الفتح.

وفي الحرية : 22 إبراهيم .02 التغابن .وفي الوعد و الوعيد : 4 النساء.وفي الولاية بين مترلتين : 03 البقرة .

28-انظر الزمخشري : د. أحمد محمد الحوفي دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى 1966 ، ص : 167.

المدحة النبوية

(تواصل المتخيَّل مع الواقع)

الأستاذ : موساوي أحمد

جامعة ورقلة–الجزائر

إن النص المولدي الزياني* أبدعته قرائح الشعراء الزيانيين في تخليد مولد النبي محمد–صلى الله عليه و سلم– وعملا علىالتقرب من الله ورسوله و بالدعاء وتعدادخصاله وتمني زيارة قبره و الوقوف في مواطىء قدميه وتذكر قيم الدعوة الإسلامية وإنجازاتها والإشادة بها–هذا النص–كشف عن قدرة القصيدة العربية على استيعاب أشكال وموضوعات متنوعة ومختلفة.

وإذا كان المديح في الشعر العربي يلتزم بتعداد خصال الممدوح في حياته وذكر مناقبه والسعي إلى التقرب منه ومن عطاياه بكل ما أوتي الشاعر من مقدرة إبداعية ، فإن المدحة النبوية في المقابل تحافظ على نفس الخطوات تقريبا من الممدوح ولكنه ممدوح متواجد في العالم الآخر ،حيث السعي إلى تحقيق التواصل بين عالم متحقق مادي واقعي وبين عالم متخيل غير واقعي والاختلاف هنا حيث الممدوح كائن غير مرئي وغير محسوس بل وهم وصورة متخيلة .

وتعد المدحة النبوية مظهرا من مظاهر الترابط والتواصل بين ما هو مرئي و بين ما هو غير مرئي أو بين الواقع والخيال ويبقي الإنسان يمثل مركز اللقاء و الترابط ، وبداية الاتصال تكون عن طريق الرغبة في زيارة الممدوح ،كزيارة قبر النبي –صلي الله عليه وسلم– والواسطة هي رحلة